وفي فلسطين، اتسم تطور الصناعة والتجارة بطابع تطورهما في الولاية السورية عموماً، حيث كان عدد المشتغلين في الصناعة والحرف لا يتجاوز ١٠٪[٣٢] من مجموع سكان الولاية التي كانت فلسطين جزءاً منها. لكن نصيب فلسطين كان أقل من ذلك بكثير[٣٣]. ففي العقد الأخير من القرن التاسع عشر، انشئت فيها اولى المؤسسات الصناعية، وقد تركزت المشاريع الصناعية، في مجملها، على الصناعات الاستهلاكية الخفيفة والتحويلية. وعلى سبيل المثال نذكر أنه قد انشىء مصنع للحرير في الجليل ومصنع للزجاج في العنطورة ومعامل صغيرة للصابون ومطاحن، ومشاغل لحياكة السجاد في القدس، ومعملان صغيران لانتاج مختلف القطع لمنشآت الري والمطاحن ومعاصر الزيت. وقد اعتمدت حركة التصنيع الأولية هذه بالدرجة الاولى على المواد الزراعية وعلى صناعة الملابس والمواد الغذائية بشكل خاص. كما نمت صناعة الكونياك والخمور، التي يعزو (E.G. Jessel) نموها في فلسطين، في مطلع هذا القرن، إلى الهجرة اليهودية[٣٤].

وبالاجمال ظلت الصناعة الفلسطينية حتى أواخر الحرب العالمية الاولى، تتألف من مؤسسات صغيرة، عدد العمال في الواحدة منها لا يتجاوز ٦ – ١٠ بالمتوسط[٣٥]. كما كان تطور التجارة، قبل الحرب العالمية الأولى ضعيفاً على العموم. وذلك نظراً لمحدودية الانتاج الزراعي والصناعي الذي تستند إليه التجارة. غير أنه حصل انتعاش نسبي للتجارة منذ الحرب،.. أسهمت فيه عدة عوامل داخلية: (نزوح السكان من القرى إلى المدن، تحسين طرق المواصلات، تحديث أدوات الزراعة: الحراثة والنقل)[٣٦]. وعوامل خارجية: (دخول رؤوس أموال ضخمة إلى البلاد في سياق تغلغل رأس المال الاوروبي في المنطقة عموماً و«انضمام المنطقة العربية إلى السوق الرأسمالية العالمية على أساس تحويلها إلى ملحق يزودّ الدول الصناعية الاوروبية بالخامات الزراعية»[٣٧]، اضافة إلى تغلغل رأس المال الصهيوني القادم في اطار سياسة الهجرة والاستيطان في فلسطين[٣٨] وثمة عوامل أخرى ثانوية كازدهار السياحة مثلاً).

وقد سيطر التجار الوطنيون، عموماً، على التجارة الداخلية في البلاد؛ أما التجارة الخارجية، فقد كانت انعكاساً لعلاقات تبادل غير متكافئة[٣٩]، إذ احتل التجار الاوروبيون منها الموقع المسيطر. ومن جانب آخر، فإن الاقليات المسيحية التي منحت، ابان الحكم العثماني، وفي ظل الوصاية الاوروبية، بعض الامتيازات[٤٠] أفرزت هي الأخرى فئة من التجار، احتلوا موقعاً في مجال التجارة الخارجية، إلى جانب التجار الأوروبيين. والمعروف أن التعليم الذي انتشر في أوساط المسيحيين عن طريق الارساليات الدينية والمدارس والمؤسسات الثقافية الاوروبية والذي جعل هؤلاء يتقنون اللغات الاوروبية المختلفة ساعدهم على النشاط في مجال التجارة الخارجية. وفيما بعد، نمت، من بين هؤلاء، فئة على هامش العلاقة مع الرأسمالية الاوروبية، ولعبت هذه الفئة دوراً في تسريب الأراضي للصهيونيين في عشرينات وثلاثينات هذا القرن، في نطاق الاتجار بالأراضي، مشكّلة بذلك نواة فئة من البرجوازية كمبرادورية (وسيطة).

واستناداً إلى ما تقدم، فإن التغيرات التي طرأت على علاقات الملكية، في نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، استتبعت وتيرة تمايز طبقي سريعة في الريف